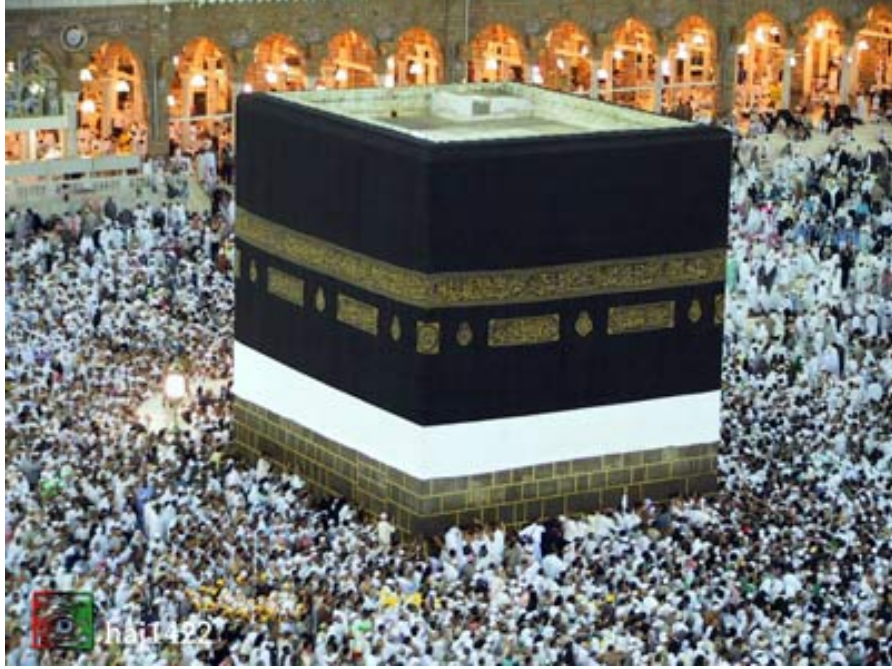


الحج.. رفاهية الروح



اعتنى الإسلام بتغذية الروح، بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسانية، لقد وفّر الإسلام للأرواح أجواء المتعة والرفاهية، وأطلق لها العنان لتسبح في ملكوت الله وبديع صنعه، ولتنظر في عظيم قدرته، ولتجول في أنحاء التاريخ وتقلبات الأيام، لتستسلم لملكه وقدرته ولآلائه ونعمه سبحانه وتعالى، فتقر له بالعظمة والجلال والكمال، ولتعترف لذاتها بالقصور والضعف والإنكسار والذل، ولتعلم أنّه لا مقام لها في هذا الوجود إلا مقام العبودية لله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: (قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران/ 26).

إنّ الحج رحلة الروح إلى باريها وخالقها ومليكيها، ولذا أضاف الله تعالى البيت الحرام إلى نفسه فقال عز وجل: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْرًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعِصِّهِمْ ذُرِّيَّتَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي لَلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (البقرة/ 125).

وقال تعالى: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (الحج/ 26).

قال العلامة ابن القيم (يرحمه الله): "وهذه الإضافة هي التي أقيمت بقلوب العالمين إليه، وسلبت نفوسهم حباً له وشوقاً إلى رؤيته، فهو المثابة للمحبين يثوبون إليه ولا يقضون منه وطراً أبداً، كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له حباً وإليه إشتياقاً، فلا الوصال يشفيهم ولا البعاد يسليهم كما قيل:

أطوف به والنفس بعد مشوقة **** إليه وهل بعد الطواف تداني

وألثم منه الركن أطلب برداً ما **** بقلبي من شوق ومن هيمان

فواي ما أزداد إلا صابة **** ولا القلب إلا كثرة الخفكان

فيا جنة المأوى ويا غاية المنى **** ويا منيتي من دون كل أمان

أبت غلبات الشوق إلا تفرياً **** إليك فما لي بالبعد يدان

(بدائع الفوائد: 2/281).

- التعرف على الأُمم:

إنَّ الحج رحلة عظيمة في أعماق التاريخ؛ حيث يتجاوز الحجاج الحقب والدهور ماضياً ومستقبلاً ليتعرفوا على أُمم قد خلت وانتهت وانقرضت، ولكن بقي لنا منها الذكرى والعظة والإعتبار، ولتعرف البشرية من ذكراها مكانة طاعة الله والإنقياد لأمره، ووبال عصيانه ومخالفة نهيه.

من تلك الأُمم، أُمّة أبي الأنبياء إبراهيم (ع)، الذي جعل الله قصته ذكرى للأجيال إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ) قَالَ يَبَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّاهُ لِلْجَدِيدِينَ * وَنَادَىٰ نَادَاهُ أَنْ يَبَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكْ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْتَلِينَ * وَفَدَّيْنَاهُ بِذَرْجٍ عَظِيمٍ *
وَتَرَكْنَاهُ غَلِيظَةً فِي الْآخِرِينَ (الصفات / 108-102).

فتركنا من تلکم الأحداث - فقط - ذكرى الطاعة والإستسلام والإنقياد لأمرنا، والتسليم الكامل لأمره سبحانه وتعالى.

- توافد الملايين؛

وأُمَّتُنا اليوم حين يتوافد منها الملايين إلى تلکم البقاع الطاهرة والأرض المباركة، تُرى هل استسلمت لأمرنا فوجدته وأطاعته وخضعت له واجتنبت نواهيه وزواجه؟ هل أغلقت أُمَّتُنا دور العصيان، وفتحت دور الإيمان؟!

بربك هل حُكمت فينا شريعة الإسلام وحنيفية إبراهيم؟ وأين أُمَّتُنا من تلکم السيرة العطرة في الإنقياد والإستسلام التي كان عليها أبو الأنبياء إبراهيم (ع)؟!

إنَّ تطواف الحاج وتجوّاله بمكة وفجاجها، وطوافه بالبيت العتيق ووقوفه بعرفة ونحره الهدي ومبيته بمنى، كل هذه الأنساك، إنّما هي تذكرة للأُمَّة بطاعة ربها، ودعوة لها للإستمساك بهدي ربها، والإلتزام بسنة إبراهيم (ع) وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام في التوحيد الخالص والإنقياد الكامل لأمرنا عز وجلّ.

وفيها إشارة واضحة جلية أن دين الأنبياء واحد، وهو ما يجهله جل بني آدم اليوم، إلا من رحم ربي.

وإنَّ در الشاعر عبدالرحيم البرعي حين قال:

يا راحلين إلى منىً بقيادي **** هيجتمُ يوم الرحيل فؤادي

سرتم وسار دليكم يا وحشتي **** الشوق أقلقني وصوت الحادي

حرمتم جفني المنام ببعدكم **** يا ساكنين المنحنى والوادي

ويلوح لي ما بين زمزم والصفاء **** عند المقام سمعت صوت منادي

ويقول لي: يا نائماً جد السُّرى **** عرفات تجلو كل قلبٍ صادي

من نال من عرفات نظرة ساعة **** نال السرور ونال كل مرادٍ

تأني ما أحلى المبيت على منى **** في ليل عيد أبرك الأعيادِ

ضحوا ضحاياهم وسال دماؤها **** وأنا المقيم قد نحرت فؤادي

لبسوا ثياب البيض شاربات الرضا **** وأنا الملوع قد لبست سوادِ

يا رب أنت وصلتهم صلني بهم **** فبحقكم يا رب فك قيادي

فإذا وصلتم سالمين فبلغوا **** مني السلام أهيل ذاك الوادي

قولوا لهم: عبدالرحيم متيمٌ **** ومفارق الأحباب والأولادِ

صلى عليك أبا يا علم الهدى **** ما سار ركب أو ترنم حادي

حفظ الله حجاج بيت الله الحرام، وجعل حجهم مبروراً وسعهم مشكوراً، ووفق المسلمين أجمعين استلهم
دروس الحج والعمرة، وأنعم على الأمة بالوحدة والسلام والنصر والتمكين، والله من وراء القصد، والحمد
لله رب العالمين.